

## Scientific Miraculous in Holy Quran

## – Terminology Issue –

Mr. Mohamad Mostafa Charmand

Islamic Studies Department | Jinan University | Lebanon

Received:

14/10/2024

Revised:

22/10/2024

Accepted:

14/11/2024

Published:

30/12/2024

\* Corresponding author:

[mohammadcharmand@gmail.com](mailto:mohammadcharmand@gmail.com)

Citation: Charmand, M. M. (2024). Scientific Miraculous in Holy Quran – Terminology Issue –. *Journal of Humanities & Social Sciences*, 8(12), 29 – 37.

<https://doi.org/10.26389/AJSRP.D171024>

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• Open Access



This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) [license](https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

**Abstract:** This is a dialectical analytical study in the art of scientific miracles in the Holy Qur'an, which was commonly mentioned in this century among people, and a statement of the validity of the naming of modern scientific discoveries and the approval of some of them to the texts of the Holy Qur'an with this name, in a gesture of the importance of considering scientific methods in this section, and lest the speech be a kind of fabrication between science and an overlap of knowledge, and the study has shown a party of the types of science and methods of inference, to prove through the scientific method if the name and its intended meanings Correct in the terminology of scientists, relying on the analytical and dialectical method, with the aim of putting this art on disciplined scientific foundations, within its own framework so that it does not exceed its place, and under its corresponding term, the sciences are different, and in order to know the status of this science was this research. She also explained the types of miracles in the Holy Qur'an, and what is the choice of Islamic scholars in that, noting that speech in this section needs controls and foundations, pursuing accuracy in speech, and objectivity in criticism, without boring lengthening, nor abbreviation disruptive, in order to control speech in this art and be fully aware of it, so it improves our use of it, and we presented it with what we aim for and wish in the field of calling to God, from introducing people into this religion, And to document Muslims with their beliefs and faith with certainty.

**Keywords:** Holy quran, scientific miraculous, miracle definition, Quran and Science.

## الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

## – إشكالية المصطلح –

أ. محمد مصطفى شرمند

قسم أصول الفقه | جامعة الجنان | لبنان

المستخلص: هذه دراسة تحليلية جدلية في فن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الذي شاع ذكره في هذا القرن بين الناس، وبيان مدى صحة تسمية الاكتشافات العلمية الحديثة وموافقة بعضها لنصوص القرآن الكريم بهذه التسمية، وذلك إيماء لأهمية اعتبار المناهج العلمية في هذا الباب، ولئلا يكون الكلام فيه ضرباً من التلفيق بين العلوم وتداخلاً للمعرفة، وقد بينت الدراسة طرفاً من أنواع العلوم وطرق الاستدلال، لتبرهن من خلال المنهج العلمي إن كانت التسمية وما ترمي إليه من معاني صحيحة في اصطلاح العلماء، معتمدة على المنهج التحليلي والجدلي، بهدف وضع هذا الفن على أسس علمية منضبطة، ضمن إطاره الخاص به بحيث لا يتعدى مقامه، وتحت مصطلحه الموافق له، فإن العلوم متباينة، ومن أجل معرفة وضع هذا العلم كان هذا البحث. كما وضّحت أنواع الإعجاز في القرآن الكريم، وما هو اختيار علماء الإسلام في ذلك، منوهة إلى أن الكلام في هذا الباب يحتاج إلى ضوابط وأسس، متوخية الدقة في الكلام، والموضوعية في النقد، من غير تطويل مُمل، ولا اختصار مُخل، من أجل أن نضبط الكلام في هذا الفن ونكون على بينة تامة فيه، فيحسن بعد ذلك استخدامنا له، وعرضنا إياه مع ما نرمي له ونتمناه في ميدان الدعوة إلى الله، من إدخال الناس في هذا الدين، وتوثيق المسلمين بعقائدهم وإيمانهم عن يقين.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز العلمي، القرآن الكريم، ماهية الإعجاز، القرآن والعلم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، فلما كانت رسالة سيدنا محمد ﷺ هي الرسالة الخاتمة، وكان القرآن الكريم هو معجزته الباقية، الذي حوى منهج المولى سبحانه وتعالى الذي ارتضاه لخلق، حار الناس في عجائب هذا القرآن العظيم، فإنه كما قال ﷺ: "فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تختلف به الآراء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم"<sup>(1)</sup>. صدق رسول الله ﷺ. وقد قال الإمام الباقلاني<sup>(2)</sup> -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ) [سورة الجن، الآية: ١-٢] أي لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عبره، ولا تفتي عجائبه<sup>(3)</sup>.

ومن العجائب -والعجائب جمّة- أن في قرننا هذا الحادي والعشرين -وما يسبقه بعشرات السنين- غلبت سطوة العلم، ولكن بمصطلحه الغربي الأخص، الذي يُعنى بالتجربة والمشاهدة والعلوم الطبيعية، فوجدوا أثناء عملهم نتائجاً قد تماثلت مع نصوص من القرآن الكريم، نطق بها النبي ﷺ بالوحي الإلهي قبل ثلاثة عشر قرناً من الزمان، مما دعا كثيراً من علماء الغرب إلى التحقق من الإسلام واعتناقه، وهذا أمر غاية في الروعة.

وكان في عالمنا الثالث -كما يُصنف- من تصدّر من العلماء الذين تشابهت تخصصاتهم مع علماء الغرب وبعض المثقفين إلى حصر تلك النتائج العلمية ومقارنتها مع القرآن الكريم ليخلصوا إلى فرع جديد من العلوم أسموه بـ"الإعجاز العلمي في القرآن الكريم". ولا يخفى أن حصول تلك النتائج العلمية على أيد غير مسلمة فيه من عدالة الشهادة ما فيه، كما أنه لا يخفى أن أمة الإسلام التي قدمت للحضارة على مرقون أسباب العلوم والفنون وطورتها باتت عاجزة في هذا القرن، وفقدت وسائل العلم الحديث. لسنا هنا بصدد مناقشة أسباب تراجع الأمة المحمدية في وجودها الحضاري ودورها فيه، إنما هدفنا مناقشة ما أومي إليه من فرع العلوم الجديد المسى بـ"الإعجاز العلمي".

#### إشكالية البحث:

جاء البحث ليجيب على الأسئلة التالية:

- 1- ما مدى استقلالية الإعجاز العلمي بعلم منفرد؟
- 2- ما مدى صحة اصطلاح (الإعجاز العلمي)؟
- 3- ما هي أبعاد الإعجاز العلمي؟
- 4- ما هي ضوابط الكلام فيه؟

#### أهمية البحث:

تُعرف أهمية البحث من خلال النقاط التالية:

أولاً: تسليط الضوء على المناهج العلمية في حقل المعرفة، والانتباه إلى أنها متباينة، وليست منهجاً واحداً. ثانياً: دراسة مبحث علمي إسلامي استُحدث في العصر الحالي، يحتاج إلى شيء من التدقيق في تدوينه وطرحه. ثالثاً: التنويه إلى المعيارية العلمية، وإلى الاشتباه في المصطلحات، وما قد يؤدي عموم الاصطلاح من النتائج التي لا يريدها من أسس لها.

#### أهداف البحث:

تتمحور أهداف البحث فيما يلي:

- طرح رؤية جديدة في التعامل مع القرآن الكريم والعلم المعاصر.
- تحديد ماهية إعجاز القرآن الكريم، وكونها ثابتة لا تتغير مع الزمان.

(1) رواه الترمذي، وقال حديث غريب، كتاب فضائل القرآن الكريم، باب ما جاء في فضل القرآن الكريم، حديث رقم [2906]، (556/3).  
 (2) القاضي أبو بكر الباقلاني، من أعظم أئمة أهل السنة، توفي سنة ٤٠٣ هـ. يُنظر: نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر (523/2).  
 (3) الباقلاني، إعجاز القرآن (ص: 185).

- بيان أن العلم لا ينحصر فقط في التجريبيات، إنما هو شامل لأنواع أخرى.
- وضع ضوابط للكلام في ميدان "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم".

#### الدراسات السابقة:

- في الغالب الأعم، كانت الدراسات السابقة في هذا المضمار دراسات معضدة لموضوع الإعجاز العلمي، ولم يظهر لي -فيما رأيت- دراسات نقدية له، ومن ذلك:
- 1- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية تأصيلية للدكتور يحيى الطويان، ويُعتبر هذا البحث منصفاً في موضوعنا المطروح، وإن اختلف في المسار والنتائج، إلا أنه لم يغفل ذكر آراء من عارض طرح الإعجاز العلمي، كما أنه قام بتعريف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تعريفاً معتمداً وشرحه مستوفياً كل قيوده، وقد ختم دراسته بتطبيقات للإعجاز العلمي.
  - 2- موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي للدكتور عبدالدائم الكحيل، ناهزت الموسوعة العشرين جزءاً، حوت المئات من الأبحاث - وربما تجاوزت الألف-، وتُعتبر بستاناً من الأبحاث التطبيقية في ميدان "الإعجاز العلمي". لكنه لم يتعرض بادئ الأمر إلى ماهية الإعجاز العلمي، معتبراً ذلك أمراً بات مسلماً به.
  - 3- المعجزة القرآنية للدكتور محمد حسن هيتو، ذكر في بدايته تعريف المعجزة، وما يصحح أن يُسمى معجزة وما لا يصح، كما أكثر التمثيل في كلامه، ونقض كلام أحد المصنفين في الإعجاز العددي وردده عليه.
  - 4- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لمحمد سامي محمد علي، يُعتبر هذا الكتاب محايداً، فقد حاول تحديد ماهية الإعجاز بداية، ثم ساق أمثلة الإعجاز بأنواعه المعروفة عند أرباب الفن.
- وفي كثير من المصنفات في باب الإعجاز، تكاد تكون المنهجية واحدة، والتأصيل للموضوع بأسلوب مشترك، ولم يُفند هذا الباب كما ينبغي. والفارق بين ما تقدم وبين ما في أيدينا، أن هذا البحث يرجع في هذا الفن خطوة إلى الوراء من حيث التأصيل العلمي، ورسم المنهج المتبع فيه مع أبعاده ومساراته، ثم وضع ضوابط الكلام فيه لتكون على بينة في استخدامنا للعلم الذي بين أتنا.

#### منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي والجدلي، في سبيل التوصل إلى الإجابة عن الإشكاليات الأنفة. كما أُشير إلى مواطن الآيات التي ذُكرت، وتخرّج الأحاديث التي وردت، وترجمة الأعلام الذين ذكروا، وإحالة الاقتباسات إلى مصادرها.

#### خطة البحث:

نُظم هذا البحث في مطالب ستة، توسطت مقدمة وخاتمة على الشكل التالي:

المقدمة: وتضمنت ما تقدم.

المطلب الأول: تعريفات.

المطلب الثاني: مفهوم الإعجاز العلمي وما يصدق عليه.

المطلب الثالث: مفهوم الإعجاز العلمي في الإسلام.

المطلب الرابع: الاعتراض على المصطلح ونقده.

المطلب الخامس: ضوابط الكلام في الإعجاز العلمي.

المطلب السادس: فتنة العلم.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

#### المطلب الأول: تعريفات:

في بحثنا هذا ثلاثة مصطلحات محورية، لا بد لنا من تعريفها لنحرر موطن الإشكالات، ألا وهي القرآن الكريم، العلم، الإعجاز، الإعجاز العلمي، وسنبداً بتعريفها على هذا الترتيب.

#### المسألة الأولى: القرآن الكريم:

يعرف القرآن الكريم عند علماء الشرع بحسب نظرهم فيه، وغايتهم منه، فعلماء أصول الدين، ينظرون إليه من حيث هو المعنى القائم بالنفس، أما علماء أصول الفقه والفقهاء وأرباب النحو واللغة فينظرون إليه من حيث هو متلو، ثم يعرج كل منهم إلى

اختصاصه، فالأصوليين والفقهاء يعرجون إلى الأحكام وأدلتها على الجملة والتفصيل، والقراء ينظرون في عد الآي وأحكام التلاوة، والبيانين ينظرون في بلاغته، والنحاة والتصريفيين في تركيبه ووقفه وابتدائه إلى ما هنالك من التفصيلات. وعليه، فإن تعريف القرآن الكريم المختار هنا هو تعريفه من حيث هو متلو، وهو التعريف المشهور الذي اختاره جمهور العلماء.

فالقرآن الكريم، هو كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على رسوله محمد ﷺ، وأعجز به البشر، وتعبد بهم بتلاوته، المنقول إلينا نقلاً متواتراً على الأحرف السبعة المشهورة<sup>(4)</sup>.  
 وقولهم (كلام الله) أخرجوا به كلام سائر العالمين.  
 وقولهم (المنزل على رسول الله محمد ﷺ) أخرجوا به ما أنزل على غيره من الأنبياء، كتوراة سيدنا موسى، وزبور سيدنا داود، وإنجيل سيدنا عيسى، وصحف إبراهيم.  
 وقولهم (أعجز به البشر) هو بيان لما تحدى به المولى الكريم العرب، فتحدهم أولاً بأن يأتوا بمثله، ثم بعشر سور من مثله، ثم بسورة واحدة، فعجزوا.  
 وقولهم (تعبد بهم بتلاوته) إشارة إلى ما روي عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: "لا أقول الم حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"<sup>(5)</sup>.  
 وقولهم (المنقول نقلاً متواتراً) أخرجوا به ما نقل بغير ذلك، من روايات الآحاد والروايات المشهورة.  
 وقولهم (على الأحرف السبعة) أي لغات العرب السبعة، فقد روي أن جبريل عليه السلام أقرأ سيدنا رسول الله ﷺ القرآن على سبعة أحرف<sup>(6)</sup>.

#### المسألة الثانية: العلم:

إن العلم - كمفهوم كلي - هو إدراك الحقيقة على ما هي عليه في الواقع<sup>(7)</sup>، وهو بهذا المعنى شامل لكل حقيقة في الوجود، ولكن عندما يريد أن ينظر المتبصر في أسباب العلم ومقدماته يجد أن العلم له اعتبارات، فمن المعلومات ما تتعلق بالكون وما حوى، ومنها ما تتعلق بالإنسان وما طوى، ومنها ما تتعلق بالغيب وما روى، ولكل نوع من العلوم منهج استدلاي يؤدي إليه، فعلم الطبيعيات والكيمياء والفيزياء والطب مثلاً، يُعتمد فيها على منهج التجربة والمشاهدة والتكرار، وعلم الإلهيات مثلاً، يُعتمد فيه على المنهج العقلي المنطقي، الذي يتوصل فيه إلى إثبات نتائج من مقدمات متفق عليها. وعلم الغيبيات يُعتمد فيها على تصديق الأنبياء أولاً، ثم صحة نقل ما روي إلينا ثانياً، وهو منهج علم الحديث.  
 إذن، فالموضوع المطروح هو الذي يفرض المنهج، وإن كان تعريف العلم واحداً، إلا أن الطرق الموصلة إليه متعددة ومتباينة، ولا يستقيم طلب حقيقة علمية بغير منهجها الخاص<sup>(8)</sup>.

#### المسألة الثالثة: الإعجاز:

الإعجاز لغة، مصدر قياسي لفعل رباعي على وزن "أفعل"، وهو أعجز يُعجز إعجازاً، وأصل جذر الكلمة يطلق على معنيين، الأول هو الضعف، والثاني هو مؤخر الشيء<sup>(9)</sup>، ولا شك أن المعنى الأول هو المراد هنا.  
 أما الإعجاز في اصطلاح علوم الشريعة المقرون بالقرآن الكريم، فهو كونه خارقاً للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، وقد كان إعجاز الأمم السابقة كئيب إسرائيل بالحسيات لبلادهم وقلة بصيرتهم، وكانت معجزة هذه الأمة بالعقل، لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم<sup>(10)</sup>، ولأن ما أكرمهم المولى به هو الشريعة الباقية فكانوا أجدر بهذه الصفات وأهل لحمل هذه المعجزة.

(4) هذا تعريف جامع لما ذكره الأصوليون في هذا الشأن.  
 يُنظر: الغزالي، المستصفي من علم الأصول (1/295). الموزعي، الاستعداد لترتبة الاجتهاد (1/93). الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام (1/120). الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، (1/356).  
 (5) رواه الترمذي، وقال حديث صحيح، كتاب فضائل القرآن الكريم، باب ما جاء في فضل القرآن الكريم، حديث رقم [2910]، (3/558).  
 (6) يُنظر: صحيح البخاري، باب ما جاء في المتأولين، حديث رقم [6936]، (ص:1716).  
 (7) يُنظر: الجرجاني، التعريفات، (ص:251).  
 (8) يُنظر: النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، (ص:287). البغدادي، قانون التسييح، (ص:11).  
 (9) يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (2/221). الرازي، مختار الصحاح، (ص:274). الجملاوي، شذا العرف في فن الصرف، (ص:288).  
 (10) كما قال الإمام السيوطي -رحمه الله- يُنظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، (2/116).

فإن القرآن نزل في العرب، بل في أفصحهم لساناً، وأبلغهم بياناً، ألا وهم قريش، وقد كانوا في ذروة الخطابة والشعر، فعجز عقلاؤهم عن معارضته أو الإتيان بمثله، وحيروا منهم الألباب بنظمه ومعناه. فكان إعجاز هذا القرآن وما تحدى الحق سبحانه العرب به، هو أن يأتوا بمثله نظماً وبياناً، وهم أرباب هذا الشأن، فأذعنوا له -طوعاً وكرهاً-، وأخبارهم في ذلك كثيرة<sup>(11)</sup>.

#### المسألة الرابعة: الإعجاز العلمي:

استحدث هذا المصطلح في هذا القرن إبان كثرة الاكتشافات والتطورات العلمية التي وافقت القرآن الكريم، وقد أحاط بمعناه المراد الدكتور زغلول نجار -حفظه الله- وهو مقدّم المرزبان في هذا الفن بقوله: "هو سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزل القرآن الكريم"<sup>(12)</sup>.

وسنأتي على ذكر مناقشة هذا الكلام، ولكن قبل ذلك، ولضبط مسار البحث، تبين لنا أن الإعجاز العلمي يشمل "الظواهر الكونية" وعلاقتها بالقرآن الكريم من حيث السبق في ذكرها، وبالعلوم المكتسبة من حيث اكتشافها وتفسيرها.

#### المطلب الثاني: مفهوم الإعجاز العلمي وما يصدق عليه:

بناء على ما تقدم من التعريفات السابقة، تبين لنا أن العلم له مناهج واعتبارات، وأن الإعجاز العلمي يشمل دراسة الظواهر الكونية ومقارنتها بالقرآن الكريم واندراج ما توافق منها تحت مسمى "الإعجاز العلمي". وقد ذكره المصنفون في هذا الفن أنواعاً، تنحصر في ستة:

الأول: ما يتعلق بعلم الأرض، كالجبال وكيف امتدادها تحت الأرض، والكلام عن كروية الأرض.

الثاني: ما يتعلق بعلم الفلك، كالقمر عن نشأة الكون، ومواقع النجوم، والكواكب والشهب.

الثالث: ما يتعلق بالطب، كالطهارة، والنوم، والغذاء.

الرابع: ما يتعلق بالرياضيات، كالتوافقات العددية.

الخامس: ما يتعلق بعلم الأحياء (البيولوجيا)، كالقمر عن الذكورة والأنوثة، والحشرات، والنبات.

السادس: ما يتعلق بعلم الفيزياء، كالجاذبية والذرة ما إلى هنالك<sup>(13)</sup>.

ربما يزيد بعض هذه الأقسام لاعتبارات جديدة، كظهور نتائج علمية قرآنية في علم آخر، أو كظهور علم جديد توافقت بعض مسائله مع القرآن الكريم.

#### المطلب الثالث: مفهوم الإعجاز في الإسلام:

##### المسألة الأولى: أقسام العلم عند المسلمين:

قبل ذكر مفهوم الإعجاز عند المسلمين بتفصيلاته، لا بد لنا أن نذكر كيف نظر المسلمون إلى العلم من حيث هو. فالعلم بمعناه الأخص، هو مجموعة من الأحكام تنضوي تحت مسمى واحد، والحكم عند المسلمين، ينقسم باعتبار الحاكم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الشرعي، وهو خطاب الله تعالى المتعلق بأحكام المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الوضع لهما. كالإيجاب، والتحريم، الخ.

(11) من ذلك ما روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، من حديث الوليد بن المغيرة أنه قال في القرآن الكريم عقب سماعه من النبي ﷺ: "والله لقلوبه الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو عليه، وإنه ليعظم ما تحته". يُنظر: المستدرک على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر، مدح كلام الله من لسان كافر، حديث رقم [3926].

(12) يُنظر: نجار، المدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي، (ص:145).

(13) يُنظر: محمد علي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، (ص:31-103-153). الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، (ص:22-30-45). الجميلي، الإعجاز الطبي في القرآن، (ص:35-239-207). مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، (ص:171-325). هيتو، المعجزة القرآنية، (ص:175).

الثاني: العادي، وهو عبارة عن إثبات الربط بين أمرين وجوداً أو عدماً بوساطة التكرار، مع صحة التخلف، وعدم تأثير أحدهما في الآخر البتة. كوجود الشفاء عند تناول الدواء، وكالعلم بحرارة النار وإحراقها.

الثالث: العقلي، وهو إثبات أمر أو نفيه من غير توقف على تكرار أو وضع واضح، كالعلم بأن ممكن الوجود متعيز. وينقسم الحكم العقلي إلى الواجب، والممكن، والمستحيل<sup>(14)</sup>.

فالعلم إذن، إما شرعي، وإما عادي، وإما عقلي، ولكل منهجه في التوصل إليه كما تقدم. فليست كل العلوم العقلية، وإن كان العقل هو آلة تعقل المعلومات وفهم العلوم، إلا أنها لا تسمى عقلية، بل الذي يُسمى كذلك هو ما لا يحتاج فيه إلى غير العقل، كعلم المنطق، ونظرية المعرفة "الابستمولوجيا".

#### المسألة الثانية: ماهية الإعجاز عند المسلمين:

طلما اقرن مصطلح "الإعجاز" في الإسلام بالأنبياء وبالقرآن، وقد مرّ وميض من الكلام عن إعجاز القرآن في المطلب الأول، وسنبين هنا "الإعجاز" من حيث إجراؤه في الفهم، وما هو وجه اقتترانه بالنبوة.

تقدم أن الإعجاز من اشتقاق (عجز)، وكذلك المعجزة، وهي في الاصطلاح أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يُعجز المنكرين الإتيان بمثله<sup>(15)</sup>.

وعند النظر في التعريف وبعدما أدركنا من أقسام الأحكام عند المسلمين، نجد قيد (العادة) في تعريف المعجزة، أي الأحكام العادية التي تقدم ذكرها، فإنها تُخرق بأمر خالقها على يد الأنبياء<sup>(16)</sup>، وبمعنى آخر، إن العلوم الطبيعية والفلكية وما جرى منهجها مجرى التجربة والمشاهدة والتكرار مما سلّم له الناس واعتادوه هي ميدان المعجزات. فليست المعجزة خارقة للعقل، على العكس، فإنها تدور في فلك الإمكان العقلي، أما بالنسبة للعادة، فإنها خارجة عن دائرة إمكانها، بل هي من المستحيلات عادة.

وكان المعجزات قد أتت لتعيد ترتيب تعقل الناس لحياتهم وما هو حولهم، فهي من وجه نصرته من الله تعالى لأنبيائه -عليهم الصلاة والسلام- أمام الأقوام المنكرين، وإلزامٌ لهم بتصديقهم، حتى إذا لم يصدقوهم بعد تلك المعجزات فيكونون قد أعلنوا اتباعهم لكبرياتهم وتحديهم لخالقهم. ومن وجه آخر، هي إعمال للعقل، وتخلّي عن العادات الموروثة غير اليقينية، فإن العقل حكمه قطعي ثابت، والعادة قد تتخلف -كما مرّ- ولا يستقيم في ذهن العاقل أن يؤثر ما يتخلف على الثابت الذي لا يتخلف.

#### المسألة الثالثة: معجزة القرآن:

معجزة القرآن الكريم، هي المعجزة العقلية الباقية للأمة المحمدية، فإن الأمم السابقة كانت معجزاتهم حسية وانقضت، أما معجزة هذه الأمة فعقلية باقية، لفرط ذكائهم -كما تقدم- ولكونها الأمة الخاتمة برسولها الخاتم ﷺ.

فوجه إعجاز القرآن الكريم في الإسلام، هو كونه نزل بلغة العرب، وأعجزهم أن يأتيوا بمثله، فنظم القرآن الكريم هو مناط الإعجاز، وهو الذي تقاصرت وقصرت كملّ البلغاء والفصحاء عنه<sup>(17)</sup>، وما كان من العجائب غير اللغوية فيه فلا يندرج تحت مسمى "الإعجاز". فالمسلمون وإن اختلفوا في وجه الإعجاز، إلا أنهم متفقون على أن مناط الإعجاز هو النظم<sup>(18)</sup>.

(14) يُنظر: السنوسي، شرح المقدمات، (ص:95).

(15) يُنظر: التفتازاني، شرح العقائد النسفية، (ص:161). النسفي، الاعتماد في الاعتقاد، (ص:179). النسفي، تبصرة الأدلة في أصول الدين، (ص:390). عبد الرسول، دستور العلماء، (290/3).

(16) فالخوارق عند أهل السنة خمسة أنواع، وهي:

الأول: المعجزة، تقدم تعريفها.

الثاني: الكرامة، ما يظهره الله تعالى على يد عبد ظاهر الصلاح.

الثالث: المعونة، ما يظهره الله تعالى على يد العوام تخلصاً لهم من الشدة.

الرابع: الاستدراج، ما يظهره على يد فاسق خديعة ومكراً به.

الخامس: الإهانة، ما يظهره على يد الفاسق تكذيباً له، فتكون بخلاف مراده.

يُنظر: البيهقوري، شرح جوهرة التوحيد، (ص:298).

(17) يُنظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، (ص:391).

(18) وقد اختلفوا في تحديد الوجه على اثني عشر وجهاً، وهي:

الأول: أن الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم في ذلك، وهو قول بعض المعتزلة.

الثاني: أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به.

الثالث: إخباره عن الغيوب والأمور المستقبلية.

### المطلب الرابع: الاعتراض على المصطلح ونقده:

بعد معرفة كل ما تقدم، سيكون نقد المصطلح من خلال تركيبه، وبيان الاعتراض عليه من وجهين اثنين:  
 الأول: (الإعجاز)، تقدم أن معناه عدم القدرة على الإتيان بمثل ما كان التحدي به، وهذا ليس موجوداً في معنى "الإعجاز العلمي"، حيث إن القرآن الكريم لم يتحدّ أحداً من البشر على أن يأتي بشيء من هذه المعارف، بل لو كان كذلك، لوجدت مشكلة كبيرة، لأن كثيراً من الظواهر الكونية في القرآن الكريم قد تم اكتشافها بعد تطور وسائل العلم، وإذا كان الأمر كذلك، فأين الإعجاز إذن؟ حقيقة الإعجاز هي استسلام العقلاء أمام المعجزة –الباقية في كل عصر-، ولم يحدث ذلك هنا، بل على العكس، كما أن الذين ظهرت هذه النتائج على أيديهم ليسوا بمسلمين.  
 الثاني: (العلمي)، فإنه قيد غير مانع من دخول ما شاع من الماصدقات تحت جنس "العلم"، فإنه يدخل فيه علم اللغة، والشرائع، والحساب، والمنطق، والحكمة، والأحياء، والسياسة، والفلك.. الخ. وما يُطلق عليه معنى "الإعجاز العلمي" لا يحتوي إلا على مسائل من العلوم الطبيعية.

### المطلب الخامس: ضوابط الكلام في الإعجاز العلمي:

لا شك أن لإخبار القرآن الكريم عن بعض الاكتشافات الحديثة في شتى العلوم شيء من حلاوة الإيمان والفخر بالدين والاعتزاز به. ونقد المصطلح لا يعني أننا نلغي تلك الآيات وما تدل عليه، بل المراد هو ألا نتمثل بتلك الأخبار عن المنهج الأساس الذي خاطبنا الله تعالى به، وإلا فإننا سننزلق في فخ الشيطان والهوى، فلا بد إذن من بعض الضوابط في الكلام في هذا الفن، لئلا ينقلب تأثيره علينا. فيجب على من يتكلم في هذا الفن ألا يخرج في كلامه عن ضوابط ثلاثة:  
 أما الأول، فهو الإقرار بأن القرآن الكريم ليس كتاباً في علم الأحياء أو العلوم الأخرى<sup>(19)</sup>، إنما هو كلام الله تعالى، المنزه عن الكذب، والذي لا ينطق بالباطل أو الهوى، وما وُجد فيه من الحقائق الكونية هي لاطمئنان القلوب وزيادة الإيمان، وخطاب لأصحاب الاختصاص بالتسليم إلى صدقه.  
 وأما الثاني، فهو أن يتأكد الباحث في هذا الفن أن المسألة التي يريد ربطها بالقرآن الكريم ليست مسألة مُحتملة، بل انقضى الكلام فيها بحيث لا تتغير نتيجتها مع تجارب جديدة، وإلا فمن الممكن أن يُنسب ما ليس علماً إلى الحق سبحانه، ويكون ذلك افتراء على الله تعالى –حاشى-. وذلك لأن العلم التجريبي مبناه على التكرار والمشاهدة كما أسلفنا، ونتائجه –في الغالب- ليست قطعية، لأن احتمال التغيير ووجود تكرار حصلت فيه نتائج مختلفة ما زال قائماً، وهذا هو مضمار التطور العلمي، فلو كان ثابتاً لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم. وعليه، يجب أخذ الحيطة في الكلام، لئلا يتوهم أن القرآن نطق بشيء مخالف للحقيقة.  
 مثال ذلك، مراحل تكوين الجنين في بطن أمه، التي ذُكرت في سورة الحج بتفصيل عجيب، لم يشاهده علماء الطبيعة إلا بعد قرون من نزول القرآن بها<sup>(20)</sup>، فهذه مسألة لا احتمال فيها للتجديد، فقس على ذلك.  
 وأما الضابط الثالث، فهو الأخذ بيد من آمن بالحقائق الكونية في القرآن الكريم إلى المنهج الأساس الذي سلم له، والذي أراد منا الحق سبحانه إعماله، ألا وهو العقل، وقد تبين فيما تقدم الخلاف بين العادة والعقل، فإن العقل لا يتخلف حكمه، والعادة تتخلف، ومن كان إيمانه قناعة عقلانية، فإن إيمانه ثابت –نظرياً- ومن آمن بالتجربة، فإنه يُخشى عليه أن يتخلف إذا تخلّفت. وذلك كان مورداً لطعن بعض الملحدون بالقرآن الكريم، فعلياً أن تنتبه.

الرابع: ما تضمن من إخباره من قصص الأولين وسائر المتقدمين.

الخامس: إخباره عن الضمائر من غير إظهار.

السادس: نظمه، وهو مختار جمهور العلماء.

السابع: الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب، واختاره فخر الدين الرازي، وقريب من سابقه.

الثامن: أنه خارج عن جميع أوجه النظم المعتادة، واختاره الباقلاني.

التاسع: أنه شيء لا يمكن التعبير عنه، كما قال السكاكي في مفتاح العلوم.

العاشر: استمرار الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحاء.

الحادي عشر: البلاغة، كما ذكر الخطابي في كتابه.

الثاني عشر: أن الإعجاز واقع بجميع ما سبق، وعليه كثير من المحققين.

يُنظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (2/93 وما بعدها).

(19) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، (ص:21).

(20) يُنظر: سورة الحج، الآية: 5.

## المطلب السادس: فتنة العلم:

لا يخفى أن في السنين المئة الأخيرة قد تغير مفهوم العلم، وتجددت وسائله، وما زالت تتجدد بشكل متسارع مخيف، وبرزت مسميات في غير أسمائها، حتى اختلطت بعض الأمور في ميدان المعرفة، وأصبحت تحتاج إلى تفنيد وتجديد. أمثلة ذلك كثيرة، منها قول البعض "أنا لا أؤمن إلا بالعقل" وإذا حدَّثته بالمنطق تراه لا يفقه شيئاً منه، وإذا حُدث بالحقائق الكونية تراه يُعجب أيما إعجاب، ولا بأس بذلك، بل المشكلة في كلامه هو، حيث أسند هذا النوع إلى العقل، وهو ليس كذلك. فإن للعقل أحكاماً وعلوماً مجردة عن الحقائق الكونية، هي الأساس الذي ينبغي أن يقوم الإيمان على دعائمه، لأنه لا يقبل الاحتمال أو التحول، في حال أن الحقائق الكونية التي انبهرت لها أعين الناس -وذلك حسن- تقبل الاحتمال. بل ما زالت في طور الاكتشاف والتجديد، وربما تغيرت بعض النتائج الماضية واستبدلت بالجديدة، فما يكون موقف المؤمن حينئذ؟ بالطبع لا ينبغي أن يتزعزع، لأن الإيمان ينبغي أن يكون عن أدلة يقينية لا تقبل الاحتمال. وعليه، فعلى المؤمن المتبصر الذي أراد أن يترقى بإيمانه، أن يثبت عقائده بالأدلة القطعية أولاً، ثم يستأنس بمشاهدة بدائع الله في خلقه، فقد قال الحق سبحانه (سُورِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمْ يَكْفُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت، الآية: ٥٢].

إضافة إلى ما تقدم، يضع بعض علماء الآثار نظريات بين الفينة والأخرى، أن البشرية كانت تتمتع بأحدث أنواع العلوم والطب والتكنولوجيا ولكنها اندثرت، ومنهم من يقول إن علوماً كثيرة قد أخفيت لسبب أو لآخر، الشاهد، أن احتمال تمتع البشرية بتقدم علمي سابق لهذا العصر المزعوم، فهذا يُعزِد القول بالألوهة نجعل هذا الفن في مكان أكبر مما جعل لأجله، مع الاعتبار بما وصلنا منه، عملاً بأمر تعالى في القرآن الكريم في أن نتفكر في الخلق، فقد قال عز من قائل (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) [آل عمران، الآية: ١٩٠] قال ﷺ: "ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها"<sup>(21)</sup>.

## خاتمة

الحمد لله في البدء والمنتهى، وبعد، فإن هذا البحث لا يقدر بأحد من العاملين في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، ولا باستخدام ما حصلوا من العلم في سبيل هذه الغاية النبيلة، إنما هو ضبط للمسار الذي سلكوه، ليكون عملهم على بصيرة، كما قال الحق سبحانه حكاية على لسان سيدنا يوسف عليه السلام (قل هذه سيبي أدعو إلى الله على بصيرة) [سورة يوسف، الآية: ١٠٨]. ويتلخص من هذا البحث الموجز، النتائج الآتية:

أولاً: أن الإعجاز العلمي لا بد أن يُضبط في أحد أمرين، إما أن يندرج في علوم القرآن الكريم، أو يُجدد مصطلحه بتعريف جامع مانع موافق لمراده.

ثانياً: تبين أن العلم لا ينطلق باعتبار واحد، بل باعتبارات متعددة، وأن طابع هذه العصر يريد أن يجعله في معنى واحد موافق لمنهجه فقط، ولعل هذا الأمر لا يتماشى مع أصول تراثنا العلمي، فيجب إعادة ضبط المسار في ذلك.

ثالثاً: أن هذه الدراسة ليست إنكاراً على النتائج الباهرة التي تصدر بين الفينة والأخرى في ميدان العلوم التجريبية أو الفلكية، فلا ينكر ذلك إلا مكابر، بل هذه دعوى إلى إعادة النظر في أسس الإيمان، وإعادة صياغة طرحنا للموضوع، فإن الإيمان ينبغي أن يكون عن دليل قطعي لا يقبل الاحتمال.

كما أوصي نفسي والباحثين الكرام بما يلي:

- توخي الموضوعية في العلم، وألا نتعجل في تفسير أي حدث جديد في العلم التجريبي بأن القرآن قد ذكره من مئات السنين، فإن القرآن وإن لم يذكر ذلك، لا يزيد ذلك ولا ينقص شيئاً بالنسبة لإيماننا.
- ألا ننتظر من الغرب أن يقدم لنا تلك النتائج، وأن نسعى إلى ذلك بأنفسنا، بأن ننظر في أسباب النهضة العلمية من جديد.
- أن يعذر بعضنا بعضاً في العلم، وألا تدخل فيه الأهواء والأحوال النفسانية، فإن العلم مجرد عن ذلك، وأن يؤثر بعضنا النصيح لبعض.

وهذا جهد المُقل في المقال، والله سبحانه أسأل إن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

(21) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب التوبة، حديث رقم [620]، (350/1).

- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، ط ٣، ٢٠١١ م.
- الأمدى، سيف الدين، الإحكام في أصول الأحكام، دار الفكر، ط ١، ١٩٨١ م.
- الباقلائي، أبو بكر، إعجاز القرآن، تح أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط ٧، ٢٠٠٩ م.
- البغدادي، محمد المعتصم بالله، قانون التسييح، دار الإمام، ط ١، ٢٠١٩ م.
- البيجوري، إبراهيم، شرح جوهرة التوحيد، تح عبد الكريم تتان وغيره، لا ط، لا سنة.
- التفتازاني، سعد الدين، شرح العقائد النسفية، تح عبد السلام الشنار، دار الدقاق، دمشق، لا ط، ٢٠١٥ م.
- الجرجاني، السيد الشريف، التعريفات، تح نصر الدين التونسي، شركة القدس للتصدير، ط ١، ٢٠٠٧ م.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح محمود شاكر، شركة القدس، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٢ م.
- الجميلي، السيد، الإعجاز الطي في القرآن، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لا ط، ١٩٩٠ م.
- الجميلي، السيد، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢ م.
- الحماوي، أحمد، شذا العرف في فن الصرف، تح عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، ط ٧، ٢٠١٤ م.
- الرازي، أبو بكر، مختار الصحاح، تح سليم محمد، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٥ م.
- الزركشي، بدر الدين، البحر المحيط في أصول الفقه، تح محمد تامر، دار الكتب العلمية، ط ٣، ٢٠١٣ م.
- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط ٢.
- السنوسي، محمد، شرح المقدمات، تح أنس محمد عدنان شرفاوي، دار التقوى، ط ١، ٢٠١٩ م.
- السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، المطبعة الأزهرية، ط ٢، ١٩٢٥ م.
- عبد الرسول، عبد النبي، دستور العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٩٧٥ م.
- الغزالي، أبو حامد، المستصفي من علم الأصول، تح عبد الفتاح طيارة، ط ١، ٢٠١٧ م.
- محمد علي، محمد سامي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار النور، دمشق.
- الموزعي، ابن الخطيب، الاستعداد لرتبة الاجتهاد، تح ملاطف مالك وغيرها، الرسالة العالمية، ط ١، ٢٠١٤ م.
- نجار، زغلول راغب، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، دار المعرفة، ط ١، ٢٠٠٩ م.
- النسفي، أبو البركات، الاعتماد في الاعتقاد، تح نادر أبو عمر، دار الفجر، دمشق، ط ١، ٢٠٢٠ م.
- النسفي، أبو المعين، تبصرة الأدلة في أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٢٠ م.
- النشار، علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار السلام، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- نوهمض، عادل، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مؤسسة النهمض الثقافية، ط ٢، ١٩٨٨ م.
- هيتو، محمد حسن، المعجزة القرآنية، مؤسسة الرسالة.